أم المؤمنين وأم الأئمة الطاهرين و زوجة خاتم المرسلين

خديجة الكبرى

إسحاق آسوده
أستاذ مساعد، قسم الفلسفة الإسلامية والكلام الإسلامي، جامعة جهرم، إيران
ea7046@gmail.com
ساره تقوايي
أستاذ مساعد، قسم الفلسفة الإسلامية والكلام الإسلامي، جامعة جهرم، إيران
sareh_taghvaee@yahooo.com

The mother of the believers, the mother of the pure imams, and the wife of the holy of messengers, Khadija al Kubra

Eshaq Asudeh
Assistant Professor , Department of Islamic Philosophy and Islamic Theology , Jahrom University , Iran
Sareh Taghvaa
Assistant Professor , Department of Islamic Philosophy and Islamic Theology , Jahrom University , Iran

الملخص:-

قلما رأينا أنّ الباحثين قاموا بدراسة حياة السيّدة خديجة الكبرى بكل ما فيها من مكانة ورفعة وتميّز. المرأة الأولى بين المسلمين، الزوجة الأولى لخاتم المرسلين وأكثرها وفاءً ورفيقته، معلمة أمير المؤمنين، والدة فاطمة سيدة نساء العالمين والأئمة الطاهرين والتي قدمت بحياتها وممتلكاتها ومكانتها خدمات فريدة لدين الله ورسوله لقد تم إهمالها والتخلي عنها تقريباً من قبل المؤرخين والكتاب صدر الإسلام. يعود جزء من هذا الإهمال والغفلة إلى الظروف الخاصة في حياة خديجة الكبرى وعدم انتشار الإسلام في تلك الفترة التاريخية، وبعضها الآخر كان متعمداً لتشخّص غيرها من زوجات رسول الله. إن الريادة في أن تصبح مسلمة، الإخلاص في بذل الثروة ورأس المال لنشر الإسلام، الرفقة والصحبة المخلصة مع رسول الله i ، تحمّل المصائب والمشاكل، الأمومة وتربية الأئمّة الطاهرين هي كلها جزء من خدمات ومجهودات هذه السيّدة الفريدة التي تم تحليلها في هذه المقالة.

الكلمات المفتاحية: خديجة، أم المؤمنين، أم الأئمه، زوجة الرسول.

Abstract:-

Rarely have we seen that researchers have studied the life of Mrs. Khadija Al-Kubra with all its stature, loftiness, and distinction. The first woman among Muslims, the first wife of the Seal of the Messengers, the most faithful and his companion, the teacher of the Commander of the Faithful, the mother of Fatima, the Lady of the Women of the Worlds and the pure imams who, with her life, property and prestige, provided unique services to the religion of God and His Messenger, she has been neglected and almost abandoned by historians and writers in early Islam. Part of this neglect and negligence is due to the special circumstances in the life of Khadija al-Kubra and the non-proliferation of Islam in that historical period, and some of it was deliberate to identify the other wives of the Messenger of God. Pioneering in becoming a Muslim, devoting wealth and capital to spread Islam, companionship and sincere companionship with the Messenger of God (PBUH), enduring misfortunes and troubles, motherhood and raising pure imams are all part of the services and efforts of this unique lady analyzed in this article.

Key words: Khadija , the mother of the believers , the mother of the imams , the Prophet's wife.

١- مشكلة البحث والمقدّمة:

إنّ معظم الكتب والمقالات التي كتبت عن خديجة الكبرى مكرسة لإخفاء تاريخ حياة هذه السيدة الفريدة ومن هذه القضايا هي: العمر والشبهات المطروحة فيه، أولاد تلك السيّدة أو ربائبها، كونها باكرة أم عدمها. إنّ الدافع لبعض الباحثين هو أنّهم يشعرون أنّ تيّاراً ما يحاول إعطاء الفضيلة لإحدي زوجات الرّسول وإن كان هذا الفضل في الأوصاف الظاهرية وغير الروحية فبما أنّها لا تجد نصّا صريحاً وملفتاً للانتباه فهي تسعي إلى التقليل من فضيلة زوجة خاتم المرسلين. على سبيل المثال، لقد ثبتوا أن عمر السيّدة خديجة مرتفع وهي تزوّجت قبل زواجها مع النبي وكانت لها أولاد حتى لو حدثت هذه الأشياء، فإنها لا تنتقص من قدسية هذه القديسة.

التطرّق إلى هذه القضايا مفيد من حيث الاقتضاء التاريخي إلا أنّه يبعدنا عن هدفنا. عندما يقوم نص الروايات بمقارنة منزلة خديجة الكبرى مع فاطمة الزهراء ومريم المقدّسة وآسية ويقدم جبريل باعتباره حامل السلام الإلهي لخديجة الكبرى وأمومة المعصومين الطاهرين هي علامة شرف لهذه السيدة الفريدة ولايزال يتذكر سيّدنا خاتم المرسلين فضائلها الفريدة لدرجة أن بعض الناس يشعرون بالغيرة هذا كله يقتضي التطرّق إلى ملامحها الأخلاقية الفريدة مثل الصبر والتضحية والجود والمروّة والطهارة والقداسة والإخلاص و..

لقد قام المفسّرون بثناء شخصية السيّدة خديجة ووصفوها بالعقلانية والشرافة: ((كانَتْ خَديجَةُ إمْرَأَةً عاقلَةً شَريفَةً مَع ما أرادَ اللهُ بِها منَ الكرامَةِ وَالْخَيرِ وَهِي يوْمَئذٍ أفْضَلُهُمْ نَسَباً وَأعْظَمُهُم شَرَفاً وَأكثَرُهُمْ مالاً)) (الطبري، ١٤١٢ق، ج١، ص٥٢١)

إنّ أشعارها الفصحي التي نظمتها في الرّسول الأكرم i تدلّ على علمها وأدبها وكمالها ومحبتها. كانت مصاحبتها مع ورقة بن نوفل قد زادت من علمها وإشرافها على الأديان السماوية ووقد جعلتها منتظرة إلى نبوّة خاتم المرسلين.(ذكاوتي، ١٣٧٤ش ٣٣)

يسعي هذا البحث إلى تبيين قداسة تلك السيّدة التقية ومنزلتها وخدماتها وتميزاتها الخاصة وسماتها المعنوية والأخلاقية و الشخصية بعد بيان موجز عن تقديمها.

٢ـ تقديم السيدة خديجة الكبرى

ولدت خديجة J في إحدي العائلات الأصيلة والنبيلة في قريش وكان أفراد عائلتها أهل نعمة وتضحية وروحانية وداعمين عن بيت الكعبة المشرفة.)الكردى المكى، ١٤٢٠ق، ج١، ص١٥٢(هي خديجة بنت خويلد[١] وأمّها فاطمة بنت زائدة[٢] كانت خديجة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث إلى الشام فيكون عيرها كعامّة عير قريش.(محمد بن سعد الواقدي، ١٣٧٤ش،ج٨،ص١١-١٢) إنّ حياة قريش ومعاشهم كانت على التجارة وكان لهم أسفار تجارية إلى الشام واليمن. من المعروف أنّ لخديجة رجال كانت تستأجرهم وتدفع المال مضاربة إلا أنّ الأمر مع محمد كان يختلف. عندما سمعت صيت صداقته وأمانته أرسلت إليه غلاماً وقالت له أنا أعطيتك ضعف ما أعطي قومك ففعل رسوال لله i وخرج مع غلامها ميسرة إلى الشام. في الطريق شاهد ميسرة كرامات وسمع تيارات منه وفهم عظمة روح رسوال الله وعلو نفسه وقالها لخديجة. (ابن هشام، ١٣٧٥ ش، ج١،ص١٢١)

كانت خديجة امرأة حازمة، جلدة، شريفة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكلّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال إلا أنّ تأثير كلمات ميسرة جعلها تميل إلى محمد i (محمد بن سعد الواقدي، ١٣٧٤ش، ج١ ص ١٢٠)

أمّا إرادة الله فكتبت لها تقديراً آخر وهي بنفسها أرادته وطلبت منه أن يتزوّجها فبالتالي تمّ الزواج وطالما كانت خديجة على قيد الحياة فلم يتزوّج الرّسول عليها. (ابن هشام، ١٣٧٥ش ،ج١،ص:١٢٢)

من العوامل الأخرى التي قد يكون لها تأثير كبير على زواج خديجة الكبرى من الرسول الكريم وصف ورقة بن نوفل للنبي. كان ورقة بن نوفل ابن عمّ خديجة (عليها لاسلام) وهو كان أول من أيّد نبوّة سيّدنا محمّد i كان له دور كبير في تعرف خديجة الكبرى على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكان من وسطاء زواجهما. على الرغم من أن الرواة يختلفون على دينه وعقيدته، إلا أنهم متفقون على علمه وفضله ونعمته ومعرفته بالأديان. (ابن هشام، ١٣٧٥ش، ج ١ ص ١٢٣)

عندما قالت خديجة أوصاف محمد i عند ورقة، قال: ((بنت أخي! لا أدري، ربما

كان زوجك ذلك الرّسول الذي ينتظره أهل الكتاب وقيل عنه في التوراة والإنجيل. والله إذا كنتُ حيّا وهو دعاني إلى دينه فأظهر امتحاناً جيدا عند الله في الدعم عنه ومساعدته.)) (ذكاوتي قراگزلو، ١٣٧٤ش، ص ٥٤)

ومن ثَمّ فبما أنّ خديجة كانت مشهورة بالحزم والعفّة - لدرجة أنّها اشتهرت بالطاهرة وسيدة قريش في العصر الجاهلي- فهي بنفسها أصبحت متقدّمة قي الزّواج وأرسلت رسولاً اسمها نفيسة لتمهد السبيل للزواج.. (محمد بن سعد الواقدي، ١٣٧٤ش، ج٨،ص ١٣و ج١، ص ١٢٠)

إنّ ما قال ميسرة وما شاهدته خديجة الكبرى من أخلاق محمد i ومعنوياته ما وصف له ورقة بن نوفل أحدث في ضمير خديجة الكبرى إعجاباً شديداً لدرجة أنّها أدّت إلى تعجب من حولها. في حفل الزواج، بعد أن قبل أبو طالب مهر ابن أخيه، قبلت خديجة الكبرى مهر زوجها بنفسها بكل تواضع وأعربت عن ارتياحها، لدرجة أن أحدهم قالها ساخرًا: فَقَالَ بَعْضُ قُرَيْشٍ: يَا عَجَبَاهْ الْمَهْرُ عَلَى النِّسَاءِ لِلرِّجَالِ ؟! فَغَضِبَ أَبُو طَالِبٍ غَضَباً شَدِيداً، وَ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ- وَ كَانَ مِمَّنْ يَهَابُهُ الرِّجَالُ، وَ يُكْرَهُ غَضَبُهُ- فَقَالَ: إِذَا كَانُوا مِثْلَ ابْنِ أَخِي هذَا، طُلِبَتِ الرِّجَالُ بِأَغْلَى الْأَثْمَانِ وَ أَعْظَمِ الْمَهْرِ، وَ إِذَا كَانُوا أَمْثَالَكُمْ، لَمْ يُزَوَّجُوا إِلَّا بِالْمَهْرِ الْغَالِي. (الكليني، ١٤٣٠ق، ج١٠، ص ٧٠٤)

ربما كان هذا أول إعلان عن إخلاص خديجة بشكل صريح والذي كان باقياً حتى في آخر لحظات حياتها. بهذه الأوصاف وضع الرسول الكريم لخديجة مهراً وعاش مع خديجة a لمدة أربع وعشرين سنة وبضعة أشهر وفي هذه المدّة لم يتزوّج عليها وكانت مهر خديجة اثنتي عشرة أوقية وقد وضع مهر غيرها من النساء اللاتي قد زوّجهن بهذا القدر. (الطبرسي، ١٣٩٠ق، ص ٢١١)

اعتقد بعض المؤرّخين السنة أنّ السيّدة خديجة كانت قد تزوّجت مرتين (محمد بن سعد الواقدي، ١٣٧٤ش،ج٨،ص: ١١) إلا أنّ مقابل هذا القول بين القدماء يخالف على بن أحمد الكوفي في الاستغاثة هذا النظر ويقول: وان خديجة لم تتزوج بغير رسول الله i وذلك ان الاجماع من الخاص والعام من اهل الانال ونقلة الاخبار على انه لم يبق من اشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم الا من خطب خديجة ورام تزويجها

فامتنعت على جميعهم من ذلك فلما تزوجها رسول الله i غضب عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها خطبك اشراف قريش وامراؤهم فلم تتزوجي احدا منهم وتزوجت محمدا يتيم ابي طالب فقيرا لا مال له، فكيف يجوز في نظر اهل الفهم ان تكون خديجة يتزوجها اعرابي من تميم وتمتنع من سادات قريش واشرافها على ما وصفناه، الا يعلم ذو التميز والنظر انه من ابين المحال وافظع المفال؟... (ابوالقاسم الكوفى، ١٣٦٨ق،ج١ ص ٧٠)

يعتقد بعض علماء الشيعة المعاصرين أنه بالنظر إلى التحيزات القبلية في الحجاز، فإن زواج خديجة التي كانت من كبار قريش آنذاك، من أعرابيين من قبيلتي تميم ومخزوم أمر غير مقبول. (مرتضي العاملي، ١٤١٥ق، ج٢، ص١٢٣)

يبدو أن بعض الشكوك حول كونها عذراء أم لا، وإنجابها أو عدم إنجابها قبل الزواج من الرسول، وكذلك اختلاف الأقوال في سنها، والتي تتراوح من حوالي ٢٥ سنة إلى حوالي ٤٠ سنة، هي نوع من الفضيلة للآخرين. بما أنّهم قد رأوا أنّ الكمال الروحي لخديجة الكبرى لا يمكن إنكاره وأن فضلها وشرفها لا يمكن إنكارهما، فقد أرادوا بزعمهم تحقيق التوازن بذكر صفات مثل التقدم في السن وعدم كونها عذراء.

كما أسلفنا الذكر أنّ هناك أقوال متناقضة عن عمر السيدة خديجة عندما تزوجت الرسول الكريم إلا أنّ القول المتّفق عليه هو أنّها كانت بنت ثمانٍ وعشرين سنة. يقول الذهبي وابن عساكر نقلا عن ابن عباس: ((كانت خديجة يوم تزوّجها رسول الله ابنة ثمانٍ وعشرين سنة.)) (الذهبي، ١٤١٣ ق، ج ٢، ص ١١١. ابن عساكر، ١٤١٥ ق، ج ٣، ص١٩٣)

عن سعيد بن المسيب، عن على بن الحسين قال: كانت خديجة ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبوطالب بعد موت خديجة بسنة فلما فقدهما رسول الله شنأ المقام بمكة، ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفار قريش، فشكا إلى جبرئيل ذلك، فأوحى الله إليه: يا محمد اخرج من القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكة ناصر، وانصب للمشركين حربا، فعند ذلك توجه رسول الله إلى المدينة. سميت تلك السنة لما أصاب نبي الإسلام من حزن بعام الحزن. (المجلسي، ١٤٠٣ ق، ج١٩، ص ٧٨)

قال ابن سعد: توفّيت خديجة J قبل الهجرة بثلاث سنين أو حواليها وتم دفنها في

مقبرة بالحجون.(محمد بن سعد الواقدي، ١٣٧٤ش، ج٨ ص١٥)

٣ـ الروحانية الخاصة والمكانة المتميزة لحضرة خديجة الكبرى

على الرغم من أنّ عداد فضائلها ليس ممكناً ولكن من أجل التعرف النسبي على هذا البحر اللامحدود، يتم إشارة موجزة إلى بعض خصائصها حتى المقدور.

٣-١تفاخر الله على الملائكة

قال الرسول الأكرم: إن الله عزوجل ليباهي بخديجة الكبرى كرام ملائكته كل يوم مرارا. (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج١٦ ص ٧٨)

٣-٢ رابعة أربع نساء ذات فضل وتوفق في العالم

قال رسول الله i : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ مِنَ النِّسَاءِ أربع [أَرْبَعاً]- مَرْيَمَ وَآسِيَةَ وَخَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ (المجلسي، ١٤٠٣، ج٤٣ص ١٩و ج١٤ص ٢٠١)

عن ابن عباس، قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط، ثم قال: أ تدرون ما هذا؟ قالوا: الله و رسوله أعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء أهل الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و مريم بنت عمران، و آسية بنت مزاحم امرأة فرعون (المجلسي، ١٤٠٣، ج١٤ ص ٢٠١)

قال بعض علماء السنة: والقدر المشترك بين الثَّلاث نسْوَة، آسيَةَ وَمَرْيَمَ وَخَدِيجَةَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُنَّ كَفَلَتْ نَبِيًّا مُرْسَلًا وَأَحْسَنَتِ الصُّحْبَةَ فِي كَفَالَتِهَا وَصَدَّقَتْهُ فَآسِيَةُ رَبَّتْ مُوسَى وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ وَصَدَّقَتْهُ حِينَ بُعِثَ، وَمَرْيَمُ كَفَلَتْ وَلَدَهَا أَتَمَّ كَفَالَةٍ وَأَعْظَمَهَا وَصَدَّقَتْهُ حِينَ أُرْسِلَ. وَخَدِيجَةُ رَغِبَتْ فِي تَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا وَبَذَلَتْ فِي ذَلِكَ أَمْوَالَهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَصَدَّقَتْهُ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ الله عزوجل.)) (ابن كثير،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٣ ص١٦٠)

٣-٣ شاربو شراب تسنيم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ص قال: قوله تعالى و مزاجه من تسنيم قال هو أشرف شراب في الجنة يشربه محمد و آل محمد و هم المقربون السابقون رسول الله i وعلي بن أبي طالب والأئمة و فاطمة و خديجة صلوات الله عليهم وذريتهم الذين

اتبعتهم بإيمان (المجلسى، ١٤٠٣ ق، ج٨ ص١٥٠)

٣-٤ مثوى خديجة في الجنّة

قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ (ابن هشام، ١٣٧٥ش، ج١ ص ١٥٧) عن بريد العجليّ قال: سمعت أبا عبد اللَّه a يقول: لمّا توفّيت خديجة جعلت فاطمة تلوذ برسول اللَّه i وتقول: أين أمّي؟ فنزل جبرئيل فقال له: ربّك يأمرك أن تقرئ فاطمة السلام و تقول لها: إنّ امّها في بيت من قصب، كعابه من ذهب و عمده من ياقوت أحمر بين آسية و مريم بنت عمران، فقالت فاطمة: اللَّه السلام ومنه السلام وإليه السلام. (الحرالعاملي، ١٣٨٠ش، ص ٥٢٠)

٣-٥ خير الناس جدة

روي أن رسول الله i وسلم قدم الإمام الحسن والإمام الحسين K في المسجد وبحضور الناس: يا أَيهَا النَّاسُ أَ لَا أُخْبِرُكُمُ الْيَوْمَ بِخَيرِ النَّاسِ جَدّاً وَ جَدَّةً؟ قَالُوا بَلَى يا رَسُولَ اللَّه قَالَ عَلَيكُمْ بِالْحَسَنِ وَ الْحُسَينِ فَإِنَّ جَدَّهُمَا رَسُولُ اللَّه وَ جَدَّتَهُمَا خَدِيجَةُ الْكُبْرَى بِنْتُ خُوَيلِدٍ سَيدَةُ نِسَاءِ الْجَنَّة (الطبري،١٤٢٠ق، ص ١١٥)

٣-٦ مقام الرضا

يذكر في روايتنا أن الله عز وجل قد وهب عشر صفات لعشر نساء من العالم، وفي غضون ذلك منح السيّدة خديجة a زوجة رسول الله مقام الرضا والسرور. (المجلسي، ١٣٧٩ش، جلد ٤٣ ص: ٢٤٣)

٣-٧سلام الله تعالى وجبرئيل على خديجة

أتى جبْرِيلُ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رَسُولَ اللَّه هذه خَدِيجَةُ قد أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فيه إِدَامٌ أو طَعَامٌ أو شَرَابٌ فإذا هِي أَتَتْكَ فَاقْرَأْ J من رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيتٍ في الْجَنَّةِ من قَصَبٍ لَا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ (البخاري، ١٤٠٧،ج٣، ص١٣٨٩)

٣- ٨ أصحاب خديجة في الجنّة

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّه i عَلَى خَدِيجَةَ وَ هِيَ لِمَا بِهَا فَقَالَ لَهُ ((بِالرَّغْمِ مِنَّا مَا نَرَى بِكِ يَا

خَدِيجَةُ فَإِذَا قَدِمْتِ عَلَى ضَرَائِرِكِ فَأَقْرِئِيهِنَّ السَّلَامَ)) فَقَالَتْ مَنْ هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ ((مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَ كُلْثُمُ أُخْتُ مُوسَى وَ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)) قَالَتْ بِالرِّفَاءِ يَا رَسُولَ اللَّه). (ابن بابويه، ١٤٠٤ ق؛ ج١ ص ١٣٩و١٤٠)

٣-٩ مقام شفاعة السيّدة خديجة الكبرى سلام الله عليها

روي أن السيّدة خديجة a بجانب خمسة من أفراد آل عبا سيتشفعون المحبين والشيعة في الآخرة سئل عن الإمام الصدق في هذه الآية الكريمة: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف، ٤٦) فقال: ((سُورٌ بَينَ الْجَنَّه وَ النَّارِ قَائِمٌ عَلَيهِ مُحَمَّدٌ i وَعلي a وَالْحَسَنُ a وَالْحُسَينُ a وَ فَاطِمَهُ (سلام الله عليها) وَخَدِيجَهُ (سلام الله عليها) فَيُنَادُونَ أَينَ مُحِبُّونَا أَينَ شِيعَتُنَا فَيُقْبِلُونَ إِلَيهِمْ فَيعْرِفُونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَ ذَلِك قَوْلُهُ تعالى يعْرِفُونَ كلًّا بِسِيماهُمْ فَيأْخُذُونَ بِأَيدِيهِمْ فَيجُوزُونَ بِهِمْ على الصِّرَاطِ وَ يدْخِلُونَهُمُ الْجَنَّه..(المجلسي ١٤٠٣ق، ج٢٤،ص ٢٥٥)

٣-١٠ الطهارة الذاتية

لم تكن عفة السيدة خديجة الكبرى وأمانتها خاصة بالعصر الإسلامي. تم الإبلاغ عن طهارتها حتى قبل الإسلام وقبل زواجها من الرسول الأكرم لدرجة أنّها كانت تُدعي في الجاهلّية بالطّاهره لشدّة عفافها و صيانتها. (ابن حجر العسقلاني،١٣٧٩ق، ج٧ ص ١٣٤) (الذهبي، ١٤١٣، ج٢، ص١١١)

٣-١١ أم الذرية الطاهرة لفاطمة الزهراء

للسيدة خديجة الكبرى شرف أصبحت مصدر ذرية فاطمة الزهراء الطيّة وأولادها الطاهرين. إنّما وجدت هذه الدرجة من الطهارة في خديجة الكبرى حيث أعطي لها أمومة آل الله بالإضافة إلى كونها زوجة رسول الله.

نقل أبو هارون عن أبي سعيد الخدري في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان ٧٥) نقل أنّ مصطفى i قال: سألت عن جبرئيل من هو المقصود من أزواجنا في الآية الكريمة؟ قال جبرئيل: خديجة الكبرى.. (الحسكاني، ١٣٨٠ش، ص٢٠٢)

٣-١٢ نصرة الملائكة ومساعدتها في وضع الحمل

قال مفضل بن عمر سألتُ الإمام الصادق a عن كيفية ولادة فاطمة a فقال: عندما تزوّجت خديجة رسول الله تركتها النساء ولم يذهبن عندها ولم يسلمن عليها ولم يسمحن لامرأة تذهب إليها. خافت خديجة من الوحشة وحزنها جعلها أن تقلق وحينما حملت بفاطمة كانت تتكلم بنتها في بطنها وتسلّيها وهي تخفي هذا الرمز من رسول الله.

ذات يوم دخل رسول الله i وسمع تكلمها وقال: يا خديجة مع من تتكلمين؟ قالت: هذه الطفلة التي أحملها في بطني تتكلّم وهي مؤنستي. قال: يا خديجة، إن جبرائيل هو الذي يخبرني أن هذا الولد بنت وأنهن هي الجيلة الطاهرة الميمونة وأنّه أخرج منها نسلَ رسول الله i وذريته المباركة ومن ذريتها وجعل أئمة وجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.

كانت خديجة على هذه الحالة حتى حان زمن وضع حملها وبحثت عن نساء قريش وبني هاشم لتستقبلني كباقي النساء إلا أنّهن قلن لها نحن لا نأتي ولا نستقبلك. حزنت خديجة بهذا الجواب. فجأة دخلت عليها أربع نساء سمراوات طوال القامة كنساء بني هاشم. قالت إحداهنّ: يا خديجة لا تحزني لأننا جئنا من عند ربك ونحن أخواتك أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران أرسلنا الله لنستقبلك.

ولدت فاطمة طاهرةً ونقية وعندما قدمت على الأرض، أشرق منها نور يشع في جميع بيوت مكة ولم يبق مكان من شرق الأرض ومغربها إلا هي أضاءت فيها. دخل عشرة افراد من الحور العين ولكل منهم طست وإبريق من الجنة وآتوا الماء من الكوثر وأعطوها المرأة التي كانت أمامها وغسلتها بماء الكوثر وأتت بقماشين أكثر بياضاً من الحليب و وأعطر من المسك والعنبر ولفّتها في أحدهما وشدت بغيره وجهها ورأسها... فرحت الحور وبشّرن وبشر أهل السماء بعضهم البعض بولادة فاطمة. أضاء في السماء نور لم تره الملائكة من قبل وقالت هؤلاء النساء: "يا خديجة خذيها طاهرة فهي زكية ومباركة هي وذريتها". (ابن بابويه، ١٣٧٦ش صص ٥٩٣-٥٩٥)

٤- خدمات متميزة من السيّدة خديجة الكبرى

٤-١ قدمة خديجة الكبرى وسبقتها في الإسلام

كانت أول امرأة آمنت بالنبي وهي لم تشرك قبله وبقيت على عهدها حتى أنفاسها الأخيرة. عن ابى رافع قال: صلى النبيّ i أوّل يوم الأثنين، و صلّت خديجة آخر يوم الأثنين، وصلّى على يوم الثلثاء من الغد (المجلسي ١٤٠٣ق، ج٣٨، ص٢٠٣و٢٤٥و ٢٨٦)

قال كنت امْرَأً تاجر فَقَدمْتُ الْحَجَّ فَاَتَيتُ الْعَبَّاسَ بن عبدالْمُطَّلب لابتاع منه بَعْضَ التِّجَارَةِ وكان امْرَأً تَاجِراً فَوَاللَّه اني لَعِنْدَهُ بِمِنًى اذْ خَرَجَ رَجُلٌ من خِبَاءٍ قَرِيبٍ منه فَنَظَرَ إلى الشَّمْسِ فلما رَآهَا مَالَتْ يعْني قام يصلي قال ثُمَّ خَرَجَت امْرَاَةٌ من ذلك الْخِبَاءِ الذي خَرَجَ منه ذلك الرَّجُلُ فَقَامَتْ خَلْفَهُ تُصَلِّي ثُمَّ خَرَجَ غُلَامٌ حين رَاهَقَ الْحُلُمَ من ذلك الْخِبَاءِ فَقَامَ معه يصلي قال فقلت لِلْعَبَّاسِ من هذا يا عَبَّاسُ قال هذا محمد بن عبدالله بن عبدالْمُطَّلب بن اخي قال فقلت من هذه الْمَرْاَة قال هذه امْرَاَتُهُ خَدِيجَةُ ابْنَةُ خُوَيلد قال قلت من هذا الْفَتَي قال هذا على بن اَبِي طَالب بن عَمِّه قال فقلت فما هذا الذي يصْنَعُ قال يصلي وهو يزْعُمُ انه نبي ولم يتْبَعْهُ على اَمْرِه الا امْرَاَتُهُ وابن عَمِّه هذا الْفَتَي وهو يزْعُمُ انه سَيفْتَحُ عليه كُنُوزُ كسْرَي وَقَيصَرَ قال فَكَانَ عَفِيفٌ وهو بن عَمِّ الاَشْعَث بن قَيسٍ يقول وَاَسْلَمَ بَعْدَ ذلك فَحَسُنَ اِسْلَامُهُ لو كان الله رزقني الاِسْلَامَ يوْمَئذٍ فاكون ثَالثاً مع على بن اَبِي طَالبٍ رضي الله عنه. (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٣٨،ص ٢٤٤ و ج٤١ ص ١٥١)

٤-٢ التعلّق بثروة الزّوج الروحية وعدم الانتباه بالامتيازات التقليدية

يظهر الميل بالزواج من رجال أثرياء وذوي مال في كثير من النساء كان هناك العديد من الأمثلة من الماضي إلى الحاضر. لكن السيّدة خديجة الكبرى، على الرغم من ثروتها الفريدة ومكنتها التي لا توصف وشهرتها الرائعة، رغبت في شخص لم يكن لديه الكثير من المال وقد كان عاملاً لتجارتها وفضائل محمد i الأخلاقية الذاتية والباطنية (الأمانة والكفاية) هي التي تعجبها وتلفت انتباهها وليس مجرد نجاحات تجارية نسبية أو امتيازات تقليدية ظاهرة.[٣] (هاشمي خويي، ١٤٠٠ق؛ ج٢٠؛ ص٢٦٥).

في قصيدة منسوبة إلى السيّدة خديجة تخاطب الرسول الكريم:

فلـــو أنـــني أمســـيت في كـــل نعمـــة وداومـــت لي الـــدنيا وملـــك الاكاســـرة

فمـــا ســـويت عنـــدي جنـــاح بعوضـــة إذا لم يكـــن عـــيني لعينـــك نـــاظرة

(المجلسي، ١٤٠٣ق، ج١٦ص ٥٢)

بعبارة أخرى، في مواجهة الكمال الروحي والأخلاقي للرسول الكريم فلم تكن خديجة الكبرى مأسورة ومغرية بالمظاهر الدنيوية والمبهرجات الظاهرية وفي هذا الوادي أنفقت كلا من ممتلكاتها ومكانتها الاجتماعية. لقد نبذت وجاهة العصر الجاهلي لدرجة أنها فقدت دعم نساء قريش وقبلت سخريتهنّ ولؤمهنّ والتخلي عنهن. (ابن بابويه، ١٣٧٦ش، ص٥٩٤).

٤-٣ الدعم العاطفي والروحي الدائم من جانب رسول الله i .

لم تقتصر تضحية خديجة الكبرى على إيمانها الأول وإعطاء الثروة والمال فهي كانت تسلّي النبي المكرّم في الآلام والأحزان وكانت متعاطفته بما في الكلمة من معنى. كان دورها الروحي والنفسي والعاطفي ومساعدتها ومناصرتها الباطنية بالنسبة للنبي فريداً. يذكر ابن هشام في كتابه السيرة النبوية: كان إسلام هذه السيدة الشريفة دعامة روحية غريبة لرسول الله i ؛ لأن المشركين كانوا يضايقونه خارج المنزل وتحدثوا بكلام رديء وأنكروا نبوته وعندما عاد إلى المنزل، كانت خديجة تلك المرأة المؤمنة تسلّيه وتزيل ما يضايقه من الآلام الباطنية بأي طريقة وتجعله قوي القلب وتحول حزنه إلى فرح وسعادة وترفع روحه المعنوية. (ابن هشام، ١٣٧٥ش، ج١ ص ١٥٧ و ٢٦٦) كانت خديجة تساعد الرسول دائمًا وكانت له وزيرة، وكانت مخلصة للإسلام، مما وجد رسول الله i فيها السلام. (الطبرسي، ١٣٩٠ق، ص ٧٦)

٤-٤ مصاحبته في الشِّدَّةِ وَ الرَّخاءِ

كان وفاء خديجة الكبرى في متقلبات الحياة مع النبي سواء كان في الضرّاء أو السرّاء، قبل الدعوة العلانية والبعثة وفي زمن تبليغ النبوّة مستمراً. روي عن الإمام الحسن المجتبى: اَلإخاءُ الوَفاءُ فِي الشِّدَّةِ وَ الرَّخاءِ.)) (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٧٥، ص: ١١٤)

يشهد التاريخ على أنّ رؤية خديجة الكبرى وأسلوبها تجاه رسول الله وفي طريق دين الله كانت ثابتة على الدوام ولم ينحرف بهذه الطريقة الوسط قليلاً. سواء أكانت أموالها خارج العدد وانتشر عبيدها وهيمنتها في جميع أنحاء الحجاز أم عندما كانت في حالة فقر

وضيق وضغوط اقتصادية ومعيشية، وفي نهاية حياتها عندما كانت يدها فارغة من رأس المال الدنيوي، لم تكف عن مرافقة زوجها ولعبت دور ربة منزل في بيت التوحيد حتى نهاية حياتها. كانت خديجة خير أنيس الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوى موظ بفة في الأيام الشداد. كانت تسلّي النبي في مشقات الإسلام وصعوباته و بقوتها المالية وشهرتها عاشت مع معاناة الزوج وتهديده ونفيه (ابن طاووس ١٣٧٤ ش ص ٤٤٢)

٤-٥ الجهد و المساعدة في تربية السيد أمير المومنين a

وهي لم تكن والدة السيدة الصديقة الطاهرة وأحد عشر إماماً من ذريتها فحسب، بل هي كانت والدة على a أيضًا. بمجرد علمها بحب رسول الله i لعلي a كانت تزوره وتزين ذلك السيّد بأفضل الثياب والحلي وترسل جارياتها مع علي. قالت الجاريات: هُوَ اَخو مُحمَّد i واَحَبُّ الخَلقِ اِلَيه وَ قُرَّةُ عَينِ خَدِيجَة سلام الله عليها وَمَن ينزِلُ السَّكِينَةَ عَلَيه (المسعودي، ١٣٦٢ش؛ ص٢٥٧).

في الواقع أنها اعتبرت أن حب أمير المؤمنين هو نتيجة مودة الرسول الذي كان يؤكد في مواقف مختلفة أنّ حب على a في الواقع هو حب الرسول الأكرم ويساوي الحب الإلهي. عوضت السيدة خديجة، من خلال تربية السيدة الزهراء J ، عن عدم وجودها وبتربية السيد علي a ، عوضت الفراغ وعدم وجود أبي طالب للنبي الكريم (صلى الله عليه وسلم).

بعبارة أخرى، لم تكن السيدة خديجة الكبرى في حياتها مجرد حبيبة للنبي ومؤنسته فحسب، بل حاولت من قوتها وبصيرتها في تربية الحقيقتين النبيلتين كثيرة، لكي تلعب هذه الكائنات المستنيرة فيما بعد دور الرفيق المخلص في غيابها وغياب أبي طالب. لا يقتصر دور الكبار ونعم وجودهم على أيام حياتهم، بل هم يتطلعون إلى آفاق بعيدة ويسعون لتحقيقها.

يقول ابن حجر عسقلاني في ((فتح الباري بشرح صحيح البخاري)):...على نَشَأَ فِي بَيْتِ خَدِيجَةَ وَهُوَ صَغِيرٌ ثُمَّ تَزَوَّجَ بِنْتَهَا بَعْدَهَا فَظَهَرَ رُجُوعُ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ إِلَى خَدِيجَةَ دُونَ غَيْرِهَا... (ابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص ١٣٨)

لقد عاهدت ليس فقط مع النبي ولكن حتى مع خليفة النبي على a . وبعد المبايعة، طلب النبي صلى الله عليه وسلم من زوجته أن تبايع الإمام بعد النبي i أي السيد علي a

وتقرّ بولايته. بايعت السيدة خديجة J السيد علي a على الفور. ثم قال النبي: يا خديجة هذا على مولاك و مولى المؤمنين و إمامهم بعدي قالت صدقت يا رسول الله قد بايعته على ما قلت أشهد الله و أشهدكو كفى بالله شهيدا عليما.. (المجلسي، ١٤٠٣ ق، ج١٨؛ ص٢٣٣).

٥. دور مال خديجة وثروتها في الإسلام

إن عطاء المال والثروة الخالص في سبيل دين الله أمر لا مثيل له. استهلكتها في سبيل الإسلام. كانت إرادة خديجة في بذل أموالها كثيرة لدرجة أنّها لم يكن في نهاية حياتها لديها قماش للكفن.

٥-١ منفعة مال خديجة و كيفية استهلاكه

كانت أموال خديجة الكبرى مثيرة للانتباه و ومباركة في عصرها لدرجة أنّها استهلكت في زمن حياة النبي وحتى بعد وفاته. أكد: مَا نَفَعَنِي مَالُ قَطُّ مِثْلَ مَا نَفَعَنِي مَالُ خَدِيجَةَ J ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّه i يَفُكُّ مِنْ مَالِهَا الْغَارِمَ وَالْعَانِيَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيُعْطِي فِي النَّائِبَةِ، وَيُرْفِدُ فُقَرَاءَ أَصْحَابِه إِذْ كَانَ بِمَكَّةَ، وَيَحْمِلُ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمُ الْهِجْرَةَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا رَحَلَتْ عِيرُهَا فِي الرِّحْلَتَيْنِ- يَعْنِي رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ- كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ الْعِيرِ لِخَدِيجَةَ، وَكَانَتْ أَكْثَرَ قُرَيْشٍ مَالًا، وَكَانَ i يُنْفِقُ مِنْهُ مَا شَاءَ فِي حَيَاتِهَا ثُمَّ وَرِثَهَا هُوَ وَ وُلْدُهَا بَعْدَ مَمَاتِهَا. (المجلسي،١٤٠٣، ج١٩ ص ٦٢و٦٣)

٥-٢ خديجة و شعب أبي طالب

قرر زعماء قريش خوفاً من انتشار التوحيد ممارسة ضغوط اقتصادية واجتماعية وسياسية على المسلمين في الليلة الأولى من السنة السابعة من البعثة وتدمير الرسول وأصحابه تحت ضغط الفقر والنفي أو إجبارهم على الامتثال والاستسلام. لذلك كتبوا معاهدة وقعها المجلس الأعلى لقريش وقاطعوا عن أي نوع من التواصل والتعامل مع المسلمين وعلقوه داخل الكعبة.

بعد هذه المعاهدة، أمر أبو طالب الذي كان عم الرسول والداعم عنه، جميع المسلمين بالذهاب إلى الوادي بين جبال مكة والذي كان معروفاً بشعب أبي طالب. استمر الحصار الاقتصادي ثلاث سنوات. خلال هذا الوقت، كان الشباب والرجال يعيشون على مدار

الساعة عن طريق تناول حبة التمر وفي بعض الأحيان، وبسبب النقص الحاد في الغذاء، قاموا بتقسيم حبة التمر تلك. لم تترك خديجة J زوجها وحيداً خلال هذه السنوات الثلاث وكالعادة، أسرعت لمساعدته بأموالها. أنفقت خديجة J كل ثروتها في واقعة الشعب، لدرجة أنه يقال إنها لم تعد تملك أي ثروة بعد الحصار الاقتصادي. بالإضافة إلى إنفاق ثروتها في هذا الطريق، فقد طلبت أيضًا من أقاربها مساعدة المسلمين عند ظهور الفرصة. كان حَكيم بْن حَزام، ابن أخ خديجة يضع أحياناً بعض القمح والتمر على جمل في منتصف الليل ويأتي به قرب الشعب. ثم يعلق مقاليد الجمل على عنقه ويطلقه حتى يصل إلى المسلمين.

روي أن حكيم بن حزام خرج يوما ومعه إنسان يحمل طعاما إلى عمته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله صلي الله عليه و آله و سلم في الشعب، إذ لقيه أبوجهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت ولا طعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له أبوالبختري بن هشام بن الحارث: تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده؟ (المجلسي، ١٤٠٣، ج١٩، ص١٩)

يمكن اعتبار الضغوط الناتجة عن تحمل الجوع والمشقة في هذه الفترة مؤثرة في وفاة خديجة a . استمرت هذه المصاعب حتى أرسل رسول الوحي أخيرًا رسالة مفادها أن النمل قد أكل معاهدة قريش ولم يبق منها إلا كلمة ((بِسْمِكَ اللّهُمَّ)). أبلغ النبي أبا طالب بالحادثة. هكذا انتهى حصار المسلمين الاقتصادي، فانتصر المسلمون وخاصة خديجة J وأبو طالب في هذا الاختبار الإلهي. (سبحاني، ١٣٨٥، ج١، صص ٣٤١-٣٤٥)

٥-٣ ذكر خديجة الكبرى في المصحف الشريف

روي أنّ الآية الكريمة ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (الضّحى: ٨) في خديجة J وأغني الله النبي من خلال ثروة خديجة الوفيرة. (ابن بابويه، ١٣٧٧ش،ج١، ص ١٢٢) (ابن بابويه، ١٣٨٠ش؛ ج١؛ ص٤٤٥)

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾فالعائل هو فقير لا مال له وكان رسول الله هكذا وأغناه اللع بعد زواجه من خديجة بنت خويلد وأعطت خديجة جميع أموالها بكل ما فيها من الثروة بعبارة أدق، ألفت أنظار خديجة تلك المرأة المخلصة إلى الرسول الكريم لتعطي ثروتها الوفيرة له

ولأهدافه العظيمة. (مكارم شيرازي، ١٣٧١ش، ج ٢٧ ص ١٠٥) ذكر البعض الوجوه الأخرى[٤] بالإضافة إلى عطاء ثروة خديجة إلى النبي ونسبوا الرزق الذي أدّي إلى غناء النبي إلى العطايا الإلهية الأخرى[٥] (البحراني، ١٤١٥ق ،ج٥ ، ص٤٨٤) (مكارم شيرازي،١٣٧١ش، ج ٢٧ ص ١٠٥)

٥-٤ مقارنة مال خديجة بسيف الإمام علي a

كان تأثير أموال خديجة وانتفاعها في سبيل اعتلاء الإسلام كثيراً لدرجة أنّ البعض يقارنها بسيف على a . إنّ الإسلام قارن بأموال خديجة و سيف على عليهما سلام اللّه (الكراجكي، ١٤٢٧، المقدمة؛ ص١٢)

صحيح هذه النقطة في هذين الكريمين أنّه كانت تضحيتهما من قرارة القلب. بمعنى آخر، لم يقتصر إنفاق ممتلكات خديجة على جزء من الثروة حتى تتمكن من إنفاقها بسهولة، ولكن ليس من السهل إنفاق كل الثروة والممتلكات التي عملت بجد من أجلها وربما حصلت عليها منذ قبل سنوات من حياتها. شأنها شأن أمير المؤمنين والذي ضحّى نفسه بملئه في سبيل الإسلام من ليلة المبيت إلى الغزوات والحروب. ضحّى زوجته وأولاده في سبيل الله وهذا ليس له نظير. تحملت خديجة جميع تلك المصائب والمشقات في شعب أبي طالب بعد بذل النفس وإنفاق المال والممتلكات كما أصاب أمير المؤمنين بالظلم والمعاناة والخيانة واغتصاب الخلافة واللعنة وقهر المنافقين والخوارج ونحو ذلك.

وكان من أسمى مظاهر إنفاق خديجة وبذل نفس على a هو أنّه قبل فتح المدينة وقبل أن يتسع حكم النبي ونفوذه بشكل ملفت للانتباه وقبل أن ينتشر الإسلام، قاما بنصرة النبي والإسلام وهذا يدل على بصيرة أنصار نبي الإسلام الحقيقيين.

حينما انتشرت الظلمة على جميع الأماكن واجتاح الجهل شبه الجزيرة وظل الغموض على الناس أسرع إلى نصرة الإسلام هؤلاء المسبقون في الدين. لذلك نرى أنّ القرآن الكريم يشير صراحة إلى إنفاق مال هؤلاء السلف والسابقين وبذل أنفسهم وحياتهم وراحتهم على الملتحقين والمتأخرين.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ

أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد: ١٠)

ومن ثمّ لم تكن عظمة خديجة الكبرى مقتصرة على بذل المال والثروة فحسب بل يقرّ الصديق والعدو بقية حسنات حبيبة رسول الله وخدماتها ومجهوداتها. كان منزلها محل هبوط ملائكة الله وهي نفسها كانت مربية أولياء الله وأنيسة حبيب الله وناصرته. عن أمير المؤمنين فيبدو أنّ مجهوداته لم تقتصر على سيفه ذو الفقار بل إخلاص هذا الرجل الكريم وتضحيته بالنفس وإنفاقه وقيامه وقعوده رائع جداً. بالإضافة إلى ذلك، فإن ثبات الإسلام واستمراريته كان بسبب نعمة الله تعالى، والتي كانت متجلية في حقيقة خاتم المرسلين وقد ساعد ما تقدم ذكره الرسول i كذراع قوي.

٥-٥ خديجة وفدك

حصل نبي الإسلام i على فدك في السنة السابعة للهجرة. كانت القصة هي أنه بعد حصار خيبر وتهديم قوة اليهود في تلك المنطقة، وشفقة الرسول i تجاه بعض قرى تلك الأرياف، اتفق أهل فدك على المصالحة مع النبي i بأن نصف أراضيهم للنبي ونصفها الآخر لأنفسهم، وفي الوقت نفسه هم قاموا بزراعة الأراضي التي كانت للنبي وأخذوا تجاهها رواتبهم فبالتالي نظراً إلى الآية السادسة من سورة الحشر التي تقول: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وصار هذا الجزء من الأرض ملكاً للنبي i احتلها كما شاء حتى نزلت آية ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ سأل النبي جبريل ما معنى هذه الآية؟ فأجاب: هب فاطمة فدك ليكون مصدر رزق لها ولأولادها، ويكون مقابل المال الذي أنفقته خديجة في سبيل الإسلام. دعا النبي i فاطمة وأعطاها فدك. من هذه الساعة انتهى ملك النبي، وملكت فاطمة فدك، واستمرت هذه العملية حتى وفاة النبي.(ابن طاووس،١٣٧٤ش، ص ٣٩٢)

٦. قداسة منزل خديجة J وعظمته:

لطالما حظي منزل السيدة خديجة الكبرى بالاحترام والتكريم من قبل المسلمين نظراً لأهميته التاريخية والجوهرية وقدسيته. إنّ هذا المنزل الذي وقع بجانب بيت الله كان لسنوات عديدة ملاذاً وبيتاً آمناً للنبي من اضطهاد المشركين. إن مكان هبوط الملائكة الإلهية ونزول

الوحي يزيدان من قيمة هذا المكان حيث ولدت فيه فاطمة الزهراء. (جعفريان،١٣٨٢ش، ص ١٨٩) حدث فيه ليلة المبيت وقد بدأت هجرة الرسول الأعظم منه. حاول الحكام المسلمون الحفاظ على هذا المكان المقدس، ولكن مع هيمنة الوهابيين ضعفت هذه العملية ونسي ذلك المجد. هناك بنوا مدرسة لفترة ثم هدموها (عميد زنجانى، ١٣٨٨ش، ص٢١٤ و ٢١٥).

تم بناء العديد من المباني على هذا المكان عبر التاريخ، مبنى يسمى مسقط رأس السيّدة الزهراء a ومكان لحفظ القرآن وتلاوته، وأخيراً في عمليات إعادة البناء الأخيرة، دمّر مكان منزل السيّدة خديجة (مثل) والمدرسة المذكورة. (الكردى المكى،١٤٢٠ق، ص١٧٤) في وقت سابق، خلال الفترة العثمانية، تم بناء تكية في مكان منزل خديجة، المعروف باسم "تكية السيدة فاطمة". (جعفريان ١٣٨٢ش، ص ١٩٤و١٩٣)

يعتقد البعض أنّ هذا المنزل أفضل منزل بيت الله بعد مسجد الحرام وقد اعتبروا زيارة ذلك المنزل مستحباً وربما يرجع ذلك إلى أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عاش فيها سنوات طويلة بعد زواجه من خديجة حتى وقت هجرته، ونزلت عليه آيات كثيرة. (الحافظ أبي الطيب، ١٩٩٩م، ج١، صص ٥١٤ و ٥١٥) تزوج الرسول الكريم خديجة في هذا البيت وولد أبناء خديجة في هذا البيت وتوفيت في هذا البيت. (عبدالوهاب ابراهيم، ١٣٨٨، رقم ٦٩ ص ١٤٥-١٤٦).

كانت الوهابية السلفية السعودية غير مبالية بالمنزلة العظيمة للسيدة خديجة الكبرى لدرجة أنها قامت بتدمير منزلها ومكان الوحي ومسقط رأس السيدة الصديقة الطاهرة ولقد بنت هناك منطقة لتجميع المياه (نصيحة لاخواننا علماء نجد، الرفاعى، ص٥٩ نقلا عن ابي سليمان ١٣٩٢ش، ج١ ص ١٥) لا يمكن مقارنة هذا السلوك المهين للتيار الوهابي بأصحاب الديانات الأخرى، ولا حتى بأسلوب علماء السنة السابقين. إنّ السابقين من علماء السنة كتبوا كتباً عن الأوصاف الصغيرة وممتلكات منزل السيدة خديجة الكبرى. (محمد بن علان صديقى (٩٨٠ - ١٠٥٨ه.ق.) ومن هذه الكتب: النفحات الاريجة فى متعلقات بيت أم المؤمنين خديجة (انظر إلى: ابوسليمان ١٣٩٢ش، جلد ١ ص ١٥)

٧. وفاء الرسول الأكرم و وامتنانه لخدمات ومجهودات خديجة الكبرى.

تروي أم سلمة أننا ذهبنا ذات يوم عند الرسول الأكرم لموضوع وتحدثن عن خديجة

الكبرى فَلَمَّا ذَكَرْنَا خَدِيجَةَ بَكَى رَسُولُ اللَّه ص ثُمَّ قَالَ خَدِيجَةُ وَ أَيْنَ مِثْلُ خَدِيجَةَ صَدَّقَتْنِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَ وَازَرَتْنِي عَلَى دِينِ اللَّهِ وَ أَعَانَتْنِي عَلَيْهِ بِمَالِهَا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبِ الزُّمُرُّدِ لَا صَخَبَ فِيهِ وَ لَا نَصَبَ. (مجلسی، ١٤٠٣ق؛ ج٤٣؛ ص ١٣١)

تقول عائشة: كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا ذكَرَ خَديجةَ أثْنى عليها، فأحسَنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا، فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها خَيرًا منها، قال: ما أبدَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ، ورزَقَني اللهُ عزَّ وجلَّ ولَدَها إذ حرَمَني أولادَ النِّساءِ. وروى أن عجوزاً دخلت على النبي i فلاطفها فلما خرجت سألته عنها عائشة، فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان. (الفتال النيشابوري، ١٣٦٦ش، ص ٤٣٨)

النتيجة:ـ

يحاول تيار من الماضي وفي حياة خديجة الكبرى وبعد وفاتها حتى العصر المعاصر عمداً تقليل تألقها الوجودي وفي هذه الطريقة إما لم يقل في مناقبها إلا قليلا وإما في رأيه، لقد تحمل عيوبًا واضحة مثل التقدم في العمر وعدم كونها عذراء و... حتى يجد الآخرون مظهراً غير واقعي. باءت هذه المحاولة اليائسة بالفشل مرات عديدة في حياة الرسول الكريم. إنّ التعابير التي استخدمها عنها تدل على جزء من محاولة الرسول الأكرم منها: وَ أَيْنَ مِثْلُ خَدِيجَةَ وما أبدَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ خَيرًا منها وهو لم يتزوج عليها طالما على قيد الحياة ولا يزال ذكر خيرها باقيا كما تكشف الآيات والروايات الأبعاد الخفية لهذه الحقيقة العظيمة، وتكشف خدماتها الفريدة إلى الأبد، من إنفاق النفس والمال والعرض والسمعة.

هوامش البحث

(١) خويلد بن اسد بن عبدالعزّى بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لوى بن غالب،
(٢) فاطمه بنت زائدة بن الأصمبن فهر بن لوى بن غالب
(٣) (و قد سافر إلى الشّام في التجارة مع عمّه أبي طالب و هو غلام لم يبلغ الحلم، ثمّ صار عاملا لخديجة بنت خويلد و سافر إلى الشّام للتجارة مرّة اخرى، و قد أعجبت خديجة أمانته و كفايته فطلبت منه أن يزوّجها.)
(٤) أي فقيرا لا مال لك ((فَأَغْنى)) أي فأغناك بمال خديجة و الغنائم و قيل فأغناك بالقناعة و رضاك بما أعطاك عن مقاتل و اختار الفراء قال لم يكن غنيا عن كثرة المال لكن الله سبحانه أرضاه بما أتاه من الرزق و ذلك حقيقة الغنى (طبرسي ١٣٧٢ش ، ج١٠ ص ٧٦٦)
(٥) يَقُولُونَ: لاَ مَالَ لَكَ، فَأَغْنَاكَ اَللَّهُ بِمَالِ خَدِيجَةَ ، ثُمَّ زَادَكَ مِنْ فَضْلِه، فَجَعَلَ دُعَاءَكَ مُسْتَجَاباً حَتَّى لَوْ دَعَوْتَ عَلَى حَجَرٍ أَنْ يَجْعَلَهُ اَللَّهُ لَكَ ذَهَباً، ...

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن بابويه، محمد بن على، ١٣٧٦ش، الأمالي (للصدوق) / ترجمه كمرهاى، چاپ ششم، تهران، ناشر كتابچي

٢. ابن بابويه، محمد بن على، ١٣٨٠ش، علل الشرائع، ترجمه ذهنى تهرانى،چاپ اول، ايران، قم، انتشارات مومنين

٣. ابن بابويه، ١٣٧٧ش، محمد بن على، معاني الأخبار، ترجمه محمدى شاهرودي، چاپ دوم، ايران، تهران، دارالكتب الاسلاميه

٤. ابن‌بابويه، محمد بن على، ١٤٠٤ ه.ق، من لا يحضره الفقيه، ٤جلد، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، چاپ دوم، ايران، قم، مؤسسة النشر الإسلامي

٥. ابن حنبل، احمد بن محمد، ١٤١٦ ه.ق، مسند الامام احمدبن حنبل، اشراف: تركى، عبدالله بن عبدالمحسن، لبنان بيروت، موسسه الرساله

٦. ابن عبدالبرَ، ١٤١٢/١٩٩٢ م، الاستعياب في معرفه الاصحاب، چاپ على محمد بجاوي، بيروت، دارالجيل

٧. الحافظ ابی‌الطیب تقی‌الدین محمد الفاسی، ١٩٩٩م شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، تحقیق: مصطفی محمد الذهبی،، الطبعة الثانیة، مکه المکرمة، مکتبة و مطبعة النهضة الحدیثة

٨. ابن طاووس، علی بن موسی، ١٣٧٤ ش، الطرائف، ترجمه داود إلهامی، چاپ دوم، ایران،قم، ناشر نوید اسلام

٩. ابن عساکر، ١٤١٥ ق، تاریخ مدینة دمشق، لبنان، بیروت، دارالفکر للطباعة والنشر والتوزیع

١٠. ابن کثیر، أبو الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشي البصري ثم الدمشقي، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م (المتوفى: ٧٧٤هـ) البدایة والنهایة، المحقق: علی شیري الطبعة الأولی، بیروت، دار إحیاء التراث العربي

١١. ابن‌هشام، عبدالملك، ١٤١٠ ق / ١٩٩٠ م، السیرة النبویة، به کوشش عمر عبدالسلام تدمري، لبنان، بیروت

١٢. ابن هشام، ١٣٧٥ش، السیرة النبویة، زندگانی محمد i پیامبر اسلام، مترجم سید هاشم رسولي، چاپ پنجم،تهران، انتشارات کتابچی

١٣. ابوالقاسم الکوفی، علی بن احمد، ١٣٦٨ق، الاستغاثه في بدع الثلاثه، نجف، انتشارات اعلمي

١٤. ابوسلیمان، عبدالوهاب ابراهیم، پاییز ١٣٨٨،سال هیجدهم، دوره ١٨، شماره ٦٩،((خانه حضرت خدیجه برترین مکان مکه پس از مسجدالحرام))، ترجمه: سید مرتضی حسینی فاضل، ایران، میقات حج

١٥. ابو سلیمان، عبد الوهاب ابراهیم، ١٣٩٢ش، مکان هاي تاریخي مکه مکرمه، مترجم، رفیعي، تهران ناشر، مشعر

١٦. أحمد بن علی بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٣٧٩ق، فتح الباري شرح صحیح البخاري، بیروت، الناشر: دار المعرفة

١٧. البخاري الجعفي، ابوعبدالله محمد بن إسماعیل، ١٤٠٧-١٩٨٧م (متوفای٢٥٦هـ)، صحیح البخاري،تحقیق: د. مصطفي دیب البغا،الطبعة الثالثة، بیروت، الیمامه،ناشر: دار ابن کثیر

١٨. البلاذری، أحمد بن یحیی بن جابر (م ٢٧٩) ١٤١٧/١٩٩٦م، کتاب جمل من انساب الأشراف، تحقیق سهیل زکار و ریاض زرکلی، ط الأولی، بیروت، دار الفکر

١٩. الحافظ ابی‌الطیب، تقی‌الدین محمد الفاسی،١٩٩٩م، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام، تحقیق: مصطفی محمد الذهبی،، الطبعة الثانیة، مکه المکرمة، مکتبة و مطبعة النهضة الحدیثة

٢٠. الطبري، عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم١٤٢٠ه.(متوفاي٥٢٥هـ)، بشارة المصطفى i لشيعة المرتضى a ،تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى، قم؛مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين

٢١. الكردى المكى، محمد طاهر، ١۴٢٠ق، التاريخ القويم لمكه و بيت‌اللّٰه الكريم، مكتبة النهضة الحديثه، الطبعة الاولى، لبنان، بيروت، دارخضر للطباعة و النشر والتوزيع

٢٢. انصاريان، حسين ، ١٣٨٨، نگاهي به مقام حضرت خديجه، چاپ اول، قم، انتشارات دارالعرفان

٢٣. البحرانى، هاشم بن سليمان، ١٤١٥ ه. ق، البرهان في تفسير القرآن، چاپ اول، ايران، قم، ناشر موسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية

٢٤. البلاذري، احمد بن يحيي، ١٩٩٦ -٢٠٠٠م، انساب الاشراف، چاپ محمود فردوس عظم، دمشق

٢٥. تهراني حسين، ١٣٩٣ش، خصائص ام‌المومنين خديجة الكبرى سلام الله عليها، قم، طوباي محبت

٢٦. الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، ١٣٨٠ ش.شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ترجمه روحانى، چاپ اول، قم، دارالهدي

٢٧. جعفريان، رسول، ١٣٨٢ش، آثار اسلامى مكه و مدينه، چاپ دوّم، ايران، تهران، نشرمشعر

٢٨. ذكاوتي قراگزلو، عليرضا، مرداد و شهريور ١٣٧٤، ورقة بن نوفل في بطنان الجنة، آينه پژوهش، شماره ٣٣، از ص ٥١-٥٥

٢٩. الذهبي، ١٤١٣ ق، سير اعلام النبلاء، لبنان، بيروت، مؤسسه الرسالة

٣٠. سبحاني تبريزي، جعفر، ١٣٨٥ش، فروغ ابديت، چاپ بيست و پنجم، قم، بوستان كتاب

٣١. الحر العاملى، محمد بن الحسن، ١٣٨٠ش، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية (كليات حديث قدسى) مترجم كاظمي خلخالي، چاپ سوم، تهران، انتشارات دهقان

٣٢. صمدي على اكبر، پيامبر اكرم صلي الله عليه وآله و خديجه سلام الله عليها، ادب و عاطفه، پيام زن بهمن ١٣٦٧، شماره٧١

٣٣. الطبرسى، الفضل بن الحسن، ١٣٩٠ ق، زندگانى چهارده معصوم d ،ترجمه إعلام الورى، مترجم عطارودي،چاپ اول، تهران، ناشر اسلاميه

٣٤.الطبرسي الفضل بن الحسن،١٣٧٢ش، مجمع البيان في تفسير القرآن، مصحح يزدي طباطبايي و رسولي، چاپ سوم، ايران، تهران، انتشارات ناصر خسرو

٣٥. الطبري، محمد بن جرير، ١٤١٢ ق، جامع البيان في تفسير القرآن، چاپ اول، بيروت، دارالمعرفه

٣٦. الطوسى، محمد بن الحسن، ١٤١٤ ق، الأمالي(للطوسي)، قم، ناشر، دار الثقافة

٣٧.عميد زنجاني، عباسعلي، ١٣٨٨ ش، درراه برپايي حج ابراهيمي، تهران، نشر مشعر

٣٨.الفتال النيشابورى، محمد بن احمد، ١٣٦٦ ش، روضة الواعظين، ترجمه مهدوى دامغانى، چاپ اول، تهران، نشر ني

٣٩. الكراجكى، محمد بن على، ١٤٢٧ ق، الرسالة العلويّة في فضل أمير المؤمنين a على سائر البرية، محقق كريمي، چاپ اول، ايران، قم، نشر دليل ما

٤٠. الكلينى، محمد بن يعقوب، ١٣٧٥ ش، أصول الكافي، ترجمه كمرەاى، چاپ سوم، ايران، قم، اسوه

٤١. الكلينى، محمد بن يعقوب، ١٤٠٧ ق، الكافي (ط الإسلامية) - مصحح، غفاري و آخوندي، چاپ چهارم تهران، دارالكتب الاسلاميه.

٤٢. الكلينى، محمد بن يعقوب،١٤٣٠ ه.ق، الكافي(ط - دار الحديث)، ١٥جلد، چاپ اول، ايران، قم، موسسه علمى فرهنگى دار الحديث، سازمان چاپ و نشر

٤٣.المجلسى، محمد باقر بن محمد تقى، ١٤٠٣ ق، بحار الأنوار (ط بيروت)، چاپ دوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي

٤٤. المجلسى، محمد باقر بن محمد تقى، ١٣٧٩ ش، زندگانى حضرت زهرا J (ترجمه جلد ٤٣ بحار الأنوار)،ترجمه روحانى، چاپ اول، تهران، انتشارات مهام

٤٥. محمد بن سعد كاتب الواقدى (م ٢٣٠)، ١٣٧٤ش، الطبقات الكبرى، ترجمه محمود مهدوى دامغانى، تهران، انتشارات فرهنگ و انديشه

٤٦. محمدي الري شهري، محمد، ١٤٢٢ ق، ميزان الحكمه، چاپ اول دارالحديث، لبنان بيروت، توزيع دار احياء التراث العربي

٤٧.مرتضي العاملي،سيد جعفر، ١٤١٥ قمري، الصحيح من سيرة النبي الأعظم i ، قم، دارالحديث

٤٨.المسعودى، على بن الحسين، ١٣٦٢ ش، ترجمه إثبات الوصية، چاپ دوم، تهران، اسلاميه

٤٩. مكارم شيرازى، ناصر، ١٣٧١ش، تفسير نمونه، چاپ دهم، ايران، تهران، دار الكتب الإسلامية

٥٠. هاشمى خويى، ميرزا حبيب الله، ١٤٠٠ ق، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئى)، ترجمه حسن زاده آملي، كمره اي، چاپ چهارم تهران، مكتبه الاسلاميه.